

مقارنة نتائج المثابرة في الخير والشر: لماذا يدوم الخير ويزول الشر؟

مساران ومصيران؛ تحليل مقارن لنتيجة المثابرة في الخير والشر

عند التفكير في مصطلح المداومة على الخير والشر، قد يتبادر إلى الذهن أنه مفهوم ديني بحت. بيد أن هذا الاستنتاج لا يعكس الحقيقة كاملة؛ إذ إن مفهومي "الخير والشر" متغلغلان في صميم حياتنا اليومية، ويحتلان حيزاً واسعاً في علمي الفلسفة وعلم النفس. لقد تناولنا في دراسات سابقة، بالتفصيل، مفاهيم الخير والشر، وما إذا كانت نسبية أم مطلقة، إضافة إلى تبعاتهما. أما في هذه الدراسة، فسننطلق من زاوية مختلفة، للتساؤل: أين يكمن الفارق الجوهرى بين المداومة على الخير وعلى الشر؟ وهل يعود سر خلود

الخير وزوال الشر إلى جذر إلهي وفطري، أم أنه مجرد نتاج لعقود اجتماعية وعادات فردية؟

على سبيل المثال، لماذا يغدو الذين يلتزمون دوماً بالصواب موضع ثقة المجتمع بلا منازع، بينما الذين يكثرون من الخطأ—حتى لو أظهروا صلاحاً مؤقتاً—يصطدمون في نهاية المطاف بفقدان مصداقيتهم لدى الآخرين؟ من منظور المعارف الإسلامية، يكشف تحليل التمايز بين [المثابرة](#) على الخير والشر أن الأعمال الصالحة لا تُعد مجرد مجموعة من سلوكيات حسنة؛ بل هي في جوهرها طريق للاتصال بالمنبع الأبدي للخير، أي بالمعشوق الأصلي للإنسان. وتُظهر أمثلة حية كقصة [الحُر بن يزيد الرياحي](#) أن الاستقرار والمثابرة على فعل خير، حتى بعد زلات، قادر على قلب مصير الإنسان. ولكن، إذا خرجنا من دائرة الإيمان والسنة، واتجهنا نحو العقل والفطرة النقية، فما هو جواب سنجده؟

يعتقد فلاسفة الأخلاق، مثل أرسطو وكانط، أن القيمة الحقيقية لأعمال صالحة تكمن في استمرار ممارستها وإتقانها، لا في أدائها المؤقت فحسب. ومن منظور عقلاني، يضمن الثبات على الخير والشر الأمن والثقة والنمو للفرد والمجتمع على حد سواء.

١ . نحن ما نكرره مراراً وتكراراً. فالتمييز إذاً ليس فعلاً، بل عادة. أرسطو، أخلاقيات نيقوماخوس، الكتاب الثاني، القسمان ٢-١

علاوة على ذلك، تُشير نتائج حديثة في علم النفس إلى أن المثابرة على أعمال صالحة، حتى وإن كانت مجردة من دوافع دينية صرفة، تؤدي إلى تحسين الصحة النفسية، والارتقاء بعلاقات اجتماعية، وزيادة الرضا الداخلي. وعلى النقيض من ذلك، فإن المصّرّين على عادات مدمّرة وسلوكيات مناهضة للمجتمع، يعانون عادةً من شعور متزايد بفراغ وقلق وعزلة تدريجية. وعليه، فإن خلود الخير وزوال الشر ليس مجرد حقيقة إيمانية أو فلسفية، بل هو جزء أصيل من رياضيات الخلق الإلهي الذي يُرتب نتائج محددة.

خلود الخير واضمحلال الشر

إن خلود الخير واضمحلال الشر ليس مجرد مفهوم عقائدي أو وضع مثالي في نظر الفلاسفة يُسوِّغ بإيمان ديني أو معتقدات طوباوية؛ بل يمكن تأكيد هذا المبدأ وتبنيانه كحقيقة مُختبرة في الواقع الإنساني.

شواهد تاريخية تثبت أهمية المثابرة على الخير والشر

على مرّ التاريخ، تشهد الأدلة بأن الخير والإحسان، على الرغم من تحديات وعوائق جسيمة، يمتلكان بصمات لا مثيل لها في الدوام والتأثير. إن شخصيات مثل السيد المسيح، والنبي محمد، والإمام علي، والإمام الحسين (عليهم السلام)، وفي عصرنا الحديث شخصيات كالإمام الخميني، والأم تيريزا، والمهاتما غاندي—وإن كانوا يتباينون في مكانة إنسانية ودرجة روحية—هم نماذج نجحوا في ترك أثر إيجابي، يُذكر هؤلاء بالخير حتى من قبل أولئك الذين لا يدركون قيم ماوراء عقلية، وقد خُلدوا في ذاكرة التاريخ كأمثلة لاستدامة لا تعرف الكلل في الفضيلة والخير. لقد بقي ذكرهم حياً ليس في الذاكرة الجماعية لأممهم فحسب، بل في وجدان عالمي. وعندما ندرس حياة عظماء التاريخ، حتى من منظورهم الدنيوي وخدمات قدموها، نرى أنهم يُذكرون بما تمتعوا به من قيم إنسانية راسخة، وليس بشهرة عابرة حظوا بها أثناء حياتهم.

على النقيض من ذلك، فإن غزاة وجبارين ومُصّرّين على الظلم والشرّ _ حتى لو امتدت سيطرتهم وهيمنتهم لزمّن واسع_ فإنهم إما يؤولون إلى نسيان تام في ذاكرة جمعية للبشر، أو تبقى أسماؤهم مجرد رمز للعبرة والنفرة والاشمئزاز. إن تاريخ حكم شخصيات مثل هتلر، أو غيرهم من المستبدّين، يُعد شاهداً ساطعاً على أن الشر، حتى لو هيمن على مسرح أحداث لبرهة، فإن ميراثه الأخير هو فضيحة وانزواء.

مداومة الخير والشر من المنظور الإسلامي

لقد تم تصوير دوام الخير والشر في الساحة الدينية بتأكيد مضاعف. فالمُثل التوحيدية، لا سيما في القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام، تربط خلود الخير ليس فقط بمكافآت أخروية، بل بالبقاء وأثر عيني في نسيج الكون والمجتمع البشري. فالخير والنفع الحقيقي، أشبه بماء زلال يبقى ويزود الوجود بالحياة، أما الشر والباطل، فمصيره الزوال كزبد يذهب جُفاءً. إن الأنبياء والأوصياء وأولياء الله هم مقياس ثابت لهذه الحقيقة؛ فما يخلد هو سيرتهم وتأثيرهم الاجتماعي، وليس ضجيج خصومهم العابر.

الخير والشر من منظور العقل وعلم النفس

من منظور عقلي وتحليل سيكولوجي، تؤكد الدراسات ذاتها هذا المضمون. تُشير الأبحاث إلى أن استدامة الخير تنبع من آليات عميقة متجذرة في الفطرة وحاجات الروح الجمعية للبشر. إن الميل إلى النبل والعدل يترسب في اللاوعي الجمعي؛ فسلوكيات خيرة لا تضمن بقاءها في ذاكرة التاريخ فحسب، بل تُحدث أيضاً استقراراً في الصحة النفسية والرضا الداخلي للأفراد. وعلى النقيض، فإن الإصرار على الشر وتكرار سلوكيات هدامة، حتى لو اكتسب مظهراً ناجحاً، فإنه يؤدي على مدى طويل إلى تشويه الهوية، وفقدان الثقة الاجتماعية، وأضرار نفسية بالغة. وعليه، فإن اضمحلال الشر يصبح ضرورة وجودية وإنسانية قابلة للإدراك والإثبات. إن دراسة استدامة الخير والشر تُظهر أن المصير النهائي لهذين المسارين يتجاوز حقائق عقلانية ونفسية واجتماعية معهودة؛ بل يرتبط ارتباطاً جوهرياً بعواقب وجزئات حقيقية في الحياة الأبدية للإنسان. فالخير المستدام يقود دوماً إلى النمو الروحي وسكينة نفسية، ويمنح الفرد رصيماً قيماً من الثقة ورأس المال الاجتماعي. في المقابل، يؤدي الشر، على الرغم من مظاهره المؤقتة والخادعة، إلى اضمحلال الهوية الفردية والجماعية ويُفضي حتماً إلى فقدان الثقة المتبادلة.